تحليل الخطاب السينمائى عند يوسف شاهين فى ضوء علم الفولكلور

Analysis of the cinematic discourse of Youssef Chahine in view of folklore

إعداد / إسلام على عز العرب
مخرج سينمائى
باحث دكتوراة بأكاديمية الفنون

الملخص

تُعد عناصر الثقافة الشعبية من المصادر الهامة التى يمكن الإستعانة بها داخل الفيلم السينمائى لبث شحنه من الثقافة الشعبية لدى الجمهور المصرى، والعمل على تأصيل القيم الإيجابية التى تحملها ثقافتنا ، مما جعل الإهتمام بها كمادة درامية خصبة تلهم الفنان السينمائى بشتى الرؤى والتفسيرات، خاصة فى أساليب التعبير المرئى ، وتلك القاعدة التى يتأسس عليها البناء الدرامى، وهذا الإرتباط له مغزاه الواضح بالنسبة إلى السينما، ذلك أن الثقافة الشعبية أكثر تمثيلاً لروح الشعب ومنطقه ومعاييره فى تقدير الأمور.

والعمل السينمائى لا يمكن تقديمه بمعزل عن الثقافة الشعبية والعوامل المعاصرة، والمتغيرات الثقافية والإجتماعية والسياسية ، والفنان السينمائى عندما يتعامل مع عناصر الثقافة الشعبية المرتبطة بمكان وزمان ، فإنه يستقى مادته الأصلية من التراث الشعبى من وقائع حدثت ومازال بعضها يحدث وبعضها إندثر ، وتناقلها كتاب بوجهات نظر مختلفة. لذلك فإن جوهر مهمته أن يملأ الثغرات بين الحين والأخر، دون أن يشوه الحقائق المثبتة. وتكون درجة تدخل المبدع السينمائى فى التعامل مع الثقافة الشعبية ، وفقاً للعادات والمعتقدات التى يتناولها داخل العمل الفنى.

إن ما تقدمه سينما شاهين فى التعبير عن روح المجتمع من خلال ثقافة الصورة التى تحمل عناصر الثقافة الشعبية بالمجتمع المصرى والتى يدور حوله موضوع الفيلم هى هم إبداعى نتيجة تتضافر جهودها فى صياغته، وحده إبداعية تعى أن فى صميم همها تكمن مسؤولية إجتماعية ووطنية وقومية أى مسؤولية ثقافية وتاريخية حيث إستطاع شاهين الحفاظ على فكره التقدمى الجاد وعلى تطلعه الذى لا يفتر فى البحث الخلاق .

الكلمات المفتاحية: الثقافة الشعبية - يوسف شاهين - التراث والسينما– الصورة السينمائية – الخطاب السينمائى - فيلم الأرض

Abstract

The elements of folklore are among the important sources that can be used in the film to broadcast the popular culture of the Egyptian public, and work to root the positive values borne by our popular culture, making the attention as a dramatic material inspires the film artist in various visions and interpretations, The term "visual" is the basis on which dramatic construction is based. This association has a clear significance for cinema. Popular culture is more representative of the people's spirit, logic and criteria in assessing things

Cinema work cannot be presented in isolation from popular culture, contemporary factors, and cultural, social and political variables. The Egyptian cinema has come close to the subject of customs, traditions and beliefs from the ideological point of view, and the filmmaker when dealing with the popular culture represented in the customs, traditions and beliefs associated

with place and time, it derives its original article from the folklore of facts that have occurred and still some of them happen and some of them disappear. Different. Therefore, the essence of his mission is to fill gaps from time to time, without distorting the established facts. The degree of intervention of the filmmaker in dealing with popular culture, according to the customs and beliefs that he deals with within the work of art

What chahine Cinema does to express the spirit of society through the culture of the image that carries the elements of folklore in the Egyptian society, which revolves around the subject of the film are creative as a result and concerted efforts in the formulation, only creative that aware that at the core of which lies the responsibility of social and national and any cultural responsibility Historically chahine has managed to maintain his serious progressive thinking and his unswerving ambition in creative research

Key words
Popular Culture _ Youssef Chahine _ Heritage and cinema _ Earth Movie _ Cinematic image _ cinematic discourse

مقدمة

ساهمت أفلام يوسف شاهين كثيراً فى صناعة التاريخ السينمائى المصرى والعربى، والتى رسخت لجمالية سينمائية ذات أسلوب خاص على مستوى الرؤية والمضمون ، وإستثمار العناصر السينمائية والإنتاجية المتنوعة ، وإعطاء حرية واسعة كى ينطلق بخيالة وقدراته الخلاقة، إلى خلق جو نفسى أو خيال خاص ، مثل إحساس عام بالجمال ، أو التوتر أو القلق ، أو الخوف ، أو مزيج من هذه المشاعر كلها .

إن المرتكزات الأساسية فى سينما شاهين تتمثل فى نوعية إختيار الموضوع المتميز ، وإختيار الممثلين والفنانين الذين سيقدمون هذا الموضوع ، وإختيار آليات التصوير السينمائى والحبكة السينمائية التى هى نتاج عمل متواصل وشاق، وذلك بهدف تحريك مشاعر المشاهد وحواثه بالدرجة الأولى . ولم يكن إنشغالة فقط بقضايا وشئون بلاده وإنسان بلاده ، وإنما أيضا مدى تفاعلة مع قضايا العصر وإنسان هذا العصر وهمومه ، وهو فى ذلك يؤكد أيضا حداثته النابعة من وعى جاد وساخر ومأساوى لعوامل الضغط والهيمنة والقهر السائدة فى المجتمع .

ويحمل الفن فى أعماقه ما هو خاص به كظاهرة إجتماعية، وما يتكشف فى تطوره ، عندما ينفصل الفن ويبرز كشكل من أشكال الوعى الإجتماعى . الذى يفصل ما هو بدنى عن ما هو إبداعى ، بل والذى يغزو إليه الفضل فى إكتساب الإنسان مفاهيمة عن الجمال . ([1])

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة فى كيفية تناول عناصر الثقافة الشعبية التى ظهرت فى أفلام يوسف شاهين فى سياق درامى مرئى مضيفاً إليها جماليات خاصة بالعمل السينمائى وتقنياته فى المنتج الفنى الذى قدمه يوسف شاهين منسوباً إلى الحقبة الزمنية الذى ظهر فيها العمل .

[1] - عادل يحيى – الواقع والدراما فى السينما والتليفزيون – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 2001 ص 70

أهمية الدراسة

ترجع أهمية الدراسة إلى أهمية الموضوعات التى تناولها يوسف شاهين فى بعض أفلامه والتى تحمل رؤية إجتماعية وثقافية معبره عن حقبة إنتاجها أو الفترة المعبرة عنها . وما قدمه شاهين فى التعبير عن روح المجتمع من خلال ثقافة الصورة التى تحمل بعض عناصر الثقافة الشعبية الخاصة بالمجتمع المصرى والتى يدور حوله موضوع الفيلم .

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق الاهداف التالية :

- توضيح مدى تأثير عناصر الثقافة الشعبية فنياً على مقومات الفيلم السينمائى تطبيقاً على أفلام يوسف شاهين .
- تقديم رؤية نقدية لإستخدامات عناصر الثقافة الشعبية فى بعض أفلام يوسف شاهين
- دراسة عناصر الثقافة الشعبية كما ظهرت فى تكوين أبعاد الصورة المرئية فى بعض أفلام يوسف شاهين

منهج الدراسة

إعتمدت الدراسة على المنهج الوصفى التحليلى

حدود الدراسة

يتناول البحث دراسة بعض عناصر الثقافة الشعبية تطبيقاً على عينة الأفلام المختارة التى قام بإخراجها يوسف شاهين ما بين عام (1950 – 2007)

دلالة الصورة السينمائية فى أفلام يوسف شاهين

الصورة خطاب ذكى تخاطب العقل كما تخاطب الإحساس والوجدان خلال تلقينا خطاباً بصرياً ما نتمثله وفق ما تقتضيه ثقافتنا ، لأن كل صورة هى تعبير أو إحالة بشكل ضمنى، أنتجتها وتلقتها إحالة الصورة بصفة مباشرة أو غير مباشرة على المتلقى. كما تتحدد دلالتها إنطلاقاً من مجموعة مكثفة من الرمـــــوز.

واللغة البصرية للصورة ذات قوة خاصة تمكن المتلقى من إستخلاص معانيها، حيث تُعد وسيلة للتعبير عن الأشياء ، فنحن فى حياتنا نتعامل مع الصور إما مباشرة بحواسنا، وإما بطريقة غير مباشرة عن طريق العلامات . لذا تعتبر حاسة البصر هى الحاسة الأكثر أهمية بين الحواس الخمس للمتلقى ، ولها تقدير خاص لأنها تأتينا بأكبر قدر من المعلومات والخبرات المعرفية.

والفيلم السينمائى فن بصرى يعتمد على الصورة لتحقيق أهدافه وغاياته المطلوبه. كما أن للصور دوراً نفسياً مهماً بما تُضيفه من واقعية ومصدقية ، بالإضافة إلى ما تحمله من أفكار ومضامين التى تعبر عن موضوع الفيلم و الأحداث والسياق الفيلمى ومن ثم يمكن تحقيق جذب إنتباه وإثارة أهتمام أكبر عدد ممكن من الجمهور.

إن سينما شاهين تركز على التقنية فالصورة السينمائية هى الرابطة بين الموضوعية للصفات المراد عرضها لظاهرة ما وبين الوضعية لهدفه ولموقفه حيال الأشياء . ليقدم لنا العمل فى إعادة تشكيل الواقع ، هذه الإعادة لتشكيل الواقع لا تذهب بعيداً عن الفيلم ، لأن الصورة فى أفلامه هى نتاج تحويل التجسيد المرئى إلى

شكل مشحون بالرؤى الجمالية، لأن المتفرج يتعرف على العلاقة بين الأماكن ويحدد الحقيقة وفق خبرته بين الأشياء والأشخاص من وجهة نظره ووجهة نظر المخرج، وهذا ما ظهر فى الكثير من أعمال يوسف شاهين، حتى ظلت جميع صورة السينمائية عالقة بذهن المتفرج حتى الآن .

وتميز أفلام يوسف شاهين يكمن فى رمزية الصورة السينمائية وقدرتها التأثيرية على جذب إنتباه المتلقى ، وتركيز بصره على عناصر الفيلم هذا بالإضافة إلى تشجيع المتلقى على البحث فى المعانى التى تتضمنها المقاطع وما تحمله من دلالات، الأمر الذى يستغرق قدراً من الوقت فى التركيز فى المشهد.

دلالة الرمز فى أفلام يوسف شاهين

مفهوم الدلالة يرتهن بالرمز، وهذا بدوره يتأسس من نظام شكلى (دال) ومضمون (مدلول) معين، عن طريق علاقة الدال بالمدلول يتحقق معنى الدلالة التى يريد السينمائى مخاطبة الجمهور بها .

لذا يجب على المبدع السينمائى الإلمام بكل من المعانى الدلالية والمعانى العاطفية المتضمنة لعناصر الثقافة الشعبية من صور وأشكال وعلامات وألوان.....وغيرها , والموجهة للمتلقى لتحقيق أقصى فاعلية من خلال مضمون الفيلم والتأثير على المتلقى بشكل فعال. وتميزت سينما شاهين بأن تتضمن رسالة الفيلم مزيجاً من القوى المتمثلة فى الأفكار المنطقية والأفكار الإتصالية والجمالية. حيث يصل جزء منها للمتلقى من خلال المنطق وأجزاء أخرى من خلال الرموز العاطفية الوجدانية التى تهز المشاعر والأحاسيس فى المتلقى ومن ثم تؤثر على سلوكه وإتخاد القرار لمشاهدة الفيلم. حيث إعتمد فى كثير من الأحيان على العلامات والرموز المتداولة فى الثقافة وإذا لم يجد فيها ما يحتاجه أو كانت غير مناسبة لغرضه فإنه يخلقها ويُدرب الجمهور على إعتيادها.

خصائص الرموز وقدرتها على التأثير فى متلقى أفلام يوسف شاهين

- تؤثر القوه الدرامية للصور الرمزية فى أفلامه على إدراك المتلقى وبالتالى على تأثره بها.
- توظيف شاهين الرموز يعمل على إثراء الفيلم ويرتفع به إلى مستوى رمزى ، يدرك المتلقى من خلاله إيحاءات ومضامين يصعب التعبير عنها بدون الرموز.
- الرموز تثير أهتمام أكبر عدد من المتلقين ، فهى لا تنسخ الواقع ولكنها تمثل فكرة حيث توحى بمفاهيم وتصورات عامة لدى الأفراد.
- الرموز تعطى شحنة كبيرة من الإنفعال وتكثف المعنى بعيداً عن الإتجاه التقليدى المباشر الذى يؤثر بشكل سلبى على متلقى الفيلم السينمائى .
- تعمل الرموز على توضيح وتعميق الأفكار والمضامين التى يحملها مضمون أفلام شاهين فى ذهن المتلقى، من خلال ماتحمله من قوة إتصالية.
- الرموز تعمل على إثارة أفكار وخواطر فى ذاكرة المتلقى، مما يؤثر إيجابياً على قدرته على التذكر والإسترجاع

جماليات أسلوب يوسف شاهين فى عرض عناصر الثقافة الشعبية :

إرتبطت السينما المصرية منذ الوهلة الأولى لظهورها بجمهور عريض وإستطاعت فيما بعد أن تجذب جمهوراً أكثر إتساعاً وتنوعاً على المستوى الإجتماعى والمعرفى وعلى المستوى الجغرافى، وحققت لها

جمهوراً مصرياً وعربياً يشمل كل الدول العربية، تمثلوا فى الملايين من المشاهدين . لما وجدوه فى الأفلام المصرية من غذاءً ثقافياً لهم ، وأصبحت ثقافتهم وذهنيتهم على إرتباط كبير بمضامين تلك الأفلام " إن تاريخ الصورة فى الفيلم المصرى، لابد أنه مؤثر سلباً أو إيجاباً وعاكس تجلياته فى بقية مكونات الثقافة المصرية، بل العربية أيضا، بحكم طبيعة التأثير السينمائى إجتماعياً وثقافياً، وبحكم تكاملية الفنون والآداب فى داخل إبداع السينما وتكامليتها معها هى أيضاً.([2]) وذلك التشابك بين الثقافة العربية والسينما المصرية يعنى تشابكها مع الهوية العربية المصرية .

والصورة فى أفلام شاهين لابد أنها مؤثرة وعاكسة تجلياتها فى بقية مكونات الثقافة الشعبية وبحكم طبيعة تأثير السينما إجتماعياً وثقافياً وبحكم تكاملية الفنون والآداب فى داخل إبداع السينما وتكامليتها معها هى أيضاً.

هنا تتجاوز السينما مسألة أن تكون مجرد شاهدة على ذلك الواقع وإنما تقيم جدلا من خلال تلك المحددات التى تمليها طبيعة أدواتها عليها ، وعملية الجدل تلك هى التى تتحول إلى شواهد على الموقف الإجتماعى للفنان ، والذى يطرح الواقع نفسه من خلاله شاء أم حاول تجنب تقديم الواقع كما هو واقع ، من خلال الرؤية الأعمق والتحليل الإجتماعى الواعى نكشف ذلك الواقع الذى نهدف إليه وتتحول الكادرات إلى خلايا تحليلية نستشف منها جدليات ذلك الواقع . ([3])

ولهذا سعى الباحث أن يبرز ويؤكد أن أهمية هذا التجلى الثقافى للصورة السينمائية عند شاهين فى وجود بعض الأشياء المتكررة فى أفلامه والتى تعبر عن مدى شخصيته ، كما توضح مدى التأثيرات الحياتية على إبداعه ومنها ما يتعلق بالأشياء المادية ومنها ما هو حسى يرتبط بالمشاعر والأحاسيس الإنسانية وأيضاً إتجاهاته الفكرية فيما يتعلق بالأخلاق والمبادىء وبعض القضايا والتوجهات الفلسفية فى فكر شاهين والتى أثرت جميعاً بشكل أو بآخر على رؤيته الفنية داخل أفلامه .

فالرؤية عند يوسف شاهين تكمن فى وعيه ، وكفاءته التحليلية ، متجلياً فى أفلامه من خلال بناء لقطاته ، فالرؤية إذن لا تقع فى الفيلم عينه ، ولا فى الصور التى يعرضها ، بل تقع فى التصور الذى يملكه شاهين، وترشح فضلا عن تصرفه التأويلى فى معطى الصور، واللقطات.. يعنى أن الصور فى ذاتها تشهد عن شيىء ذى أهمية كبيرة . مما يجعل الصورة التقنية للفيلم من خلال المونتاج و حركة الكاميرا وزوايا التصوير، ثمة من يرى فى زاوية التصوير الموضوع ، لا فى الموضوع المصور، فيفصل فصلاً فنياً وتعبيرياً ، بين المادة الخام (الوقائع والأحداث) .

تجليات بعض عناصر الثقافة الشعبية فى أفلام يوسف شاهين

حين يستوعب المخرج تراثه الحضارى، وقضاياه الآنية، فى رؤية لا تتشابه مع غيرها، وإنما تكون هى ما هى، أى تدل على نفسها، حتى يقول المشاهد فى أى مكان : هذا فيلم عربى، ثم يزداد وضوحاً فيقول فيلم مصرى .

وفى كثير من الأحيان إعتمد شاهين على رموز و علامات تراثية ذات الصدى العميق في دواخل المجتمع المصرى و في عاداته ومعتقداته. رموزا طالما سكنت لاوعي الجمهور و خلفياته الذهنية و العقائدية، توارثها المجتمع جيلا عن جيل فانعكست على سطح حياتهم المعيشة لتكون مرآة صادقة عن ذواتهم و دواخلهم وها هي تنعكس بصورة جلية في أفلامه باعتبار أن هذه الأعمال مرآة صادقة بدورها عن المجتمع المصرى في معيشة اليومي.

1 ـ مدكور ثابت - فرضياتى لإكتشاف السينما المصرية، دار شركة الحريرى للطباعة ، بيروت 2005 ص 65

[3] - عادل يحيى – مرجع سابق ص 18

المعتقدات المرتبطة بالأولياء

تنتشر ظاهرة الإعتقاد فى الأولياء جغرافياً وتاريخياً فى تراث المجتمع المصرى، فهى مهيمنة كثيراً على السلوك الدينى والمرجعية الدينية والثقافية لدى أفراد المجتمع ، كما أنها تختلف من منطقة إلى أخرى . تظهر وظيفتها الدينية، الثقافية والإجتماعية .. فى البنية الإجتماعية الكلية لهذا المجتمع ولكل منطقة منه على هذا فكل وظيفة وتترتب على خصوصية الولى فى نسبه وبركته وكرامته وشرفه وفى تخصصه ودوره فى منطقته فى حياته وأثره بعد وفاته . وهذا يحدد نوع وطبيعة الطقوس والممارسات الإعتقادية التى يقوم بها أفراد منطقة أو بيئة معينة إتجاه ضريحها المتواجد بمنطقتها لقضاء حاجاتهم . هذه الطريقة فى التدين وممارسة بعض الطقوس الدينية تشكل ظاهرة تعرف بالتدين الشعبى .

إن ثقافة الإعتقادات والطقوس الممارسة للأولياء والأضرحة ثقافة تقع بين منطقتين الخير والشر وتتوسط نسقين المرض والعلاج وتكون بالتالى العين والحسد والسحر، من الأمراض المرتبة عن أعمال شريرة من شأن ذلك الرمز التى تلتف حوله هذه الطقوس وبالتالى لكل حاجة طقس ولكل طقس معتقد ذى معنى ودلالة ذات إرتباط سيميولوجى بتلك الحاجة لدى المرأة، وهذا طبعا نمط من الثقافة . والطقوس جميها مبنية على أساس الإعتقاد فى علاقة كرامة الولى الصالح وحاجات المرأة .

لذلك نستطيع إثبات شيوع الإعتقاد فى كرامات الأولياء والخرافات والتصديق بالخوارق من خلال تلك السمة الثقافية التى شاعت وترسخت فى الذاكرة الجمعية تحمل إيماناً بتلك الأساطير وإنتشار الحكايات عن الكرامات والمعجزة فى كرامة الأولياء والتى راجت عن الأولياء، كما لا يزال الإعتقاد فيها .

حيث تحمل فى طايتها خصوصيات المجتمع معبره عن طقوس ترسخت فى الأذهان مع مرور الأيام إعتقاداً منهم أنها مفتاح السعادة ودفع الشر مهما كان مصدره، لذلك فكل مجتمع يختزن فى جعبته خصائص يعبر عنها بواسطة عاداته وتقاليده .

زيارة الضريح بين المعتقد والممارسة :

إن زيارة أضرحة الأولياء والتبرك بهم ظاهرة منتشرة فى المجتمع بشكل جلى ، وذلك ما جعل شاهين إظهاره فى فيلم " الأرض " وذلك على سبيل المثال ، حيث عمل على إظهار تلك الطقوس التى ظهرت فى مشاهد الفيلم ، وعلاقة الظاهرة بالدين كشريعة وأصول إعتقادية منزلة وبالتدين كممارسة إنسانية يتداخل فى تكوينها العامل الدينى والعامل الثقافى. كما أن تقديم الإعتقادات المفسرة لتلك الطقوس يعد بدوره مجالاً واسعاً لفهم المخيال الشعبى، وإدراك المكنونات الذهنية والنفسية وتفهم الحاجات المختلفة .

حيث يرصد لنا فيلم " الأرض " تفاصيل حياتية للمجتمع الريفى المصرى، والذى يعد فيه الإعتقاد فى زيارة الأولياء جزءاً لا يتجزأ من حياة هؤلاء . كما أن التدين بصفته ممارسة تعبدية داخل جماعة معينة يبقى خاضعاً لنسبية الزمان والمكان، ويبقى الشكل الذى يتخذه هذا التدين تعبيراً عن القوى والمصالح الذى تدعمه، يبقى ببقائها ويختفى بزوالها أو بإنتقاء الحاجة إليه .

رمزية ودلالة زيارة الضريح :

عبر شاهين فى فيلم من خلال المشاهد الخاصة بزيارة ضريح " الولى " الإعتقاد فى الأولياء من خلال إتجاهين الأول : هو كشف الظاهرة فى وعى الناس ، والثانى من خلال كشف الظاهرة فى ممارسة الناس، الذى يكشف الستار عن حقيقة الممارسة ودلالتها وأبعادها، والتى غالبا ما تكون رمزية وغير مدركة .

فالممارسات والطقوس التى تقوم بها " وصيفة فى الفيلم " حقيقية تتوفر على دلالات رمزية فى زيارة الضريح، فهذه الممارسات ينقلها لنا شاهين عبر حركات وأفعال تقوم بها يفهمها المتلقى من خلال تأشيراتها ومعانيها من خلال موروثه الثقافى، والتى لا تخرج عن تقاليد ثقافته الشعبية، والتى يراها شاهين من واقع المجتمع .

يمكن ملاحظة ذلك فى كل الطقوس التى تمارسها " وصيفة " عند زيارة الضريح ، والتجسيد الميدانى وحده قادر على توضيح هذه الطبيعة و تختلف الطقوس بإختلاف طبيعة الطقس التى تقوم به المرأة متمثلة فى " وصيفة " وعن الرجل متمثلة فى " عبد الهادى "

محاولة شاهين على فكرة مفادها خصوصية الأولياء والأضرحة، بالنسبة للمرأة والرجل فى حل مشاكلهم الحياتية والصحية والنفسية والغيبية، مما يغلب الطابع الأنثوى على الطقوس الممارسة بالضريح أكثر من الرجل .

(شكل 1)

ما تفعله " وصيفة " بلمس جدار الضريح بيدها ووضعها على رأسها مرة وأخرى على رأس " عبد الهادى " مفادها إعتقادها بأن بركة " الولى " الصالح المدفون فى ذلك الضريح لا تزال قوته حاضرة ومؤثرة على طبيعة حياتهم ، تصلح لتغيير الصالح وزرع المحبه، إبعاد المشاكل ، وتعجيل الرزق .. لا تزال القوة موجودة تعمل على تقديم إستعطافات حتى تكون مستجابة، كذلك تلك الطقوس تنطلق دلالاتها من قاعدتها أو جذورها الإعتقادى .

إن ماتقوم به " وصيفة " من طقوس تبدأ من الإيماءه بالإشارة والحركة البسيطة، تؤكد معنى ما تتضمنه من تعاويذ ورقى وأدعية طقوسية ترتبط إرتباطاً وثيقاً بشكل الممارسة أثناء الزيارة .

الأهداف المرجوة من القيام بالزيارة الضريح :

أكد شاهين فى المشاهد المرتبطة بزيارة الولى فى فيلم " الأرض " على تعدد الأهداف المرجوة من زيارة الضريح وذلك من خلال قيام "وصيفة "بزيارة الضريح وما تردد على لسانها والتى يمكن تقسيمها كما يلى:

- أهداف صحية : تتمثل عادة فى الشفاء من الأمراض المختلفة .. (أنك تشفى أبويا)
- أهداف نفسية : تأمل فى الحصول على الراحة والهدوء الداخلى وإتقاء الشرور ونيل الخير والبركة .. (أنك تبعد عنا العين .. وتحفظنا من كل شر)
- أهداف إجتماعية : طلب العون والقوة وطلب الحماية والأمان (تحمى أبويا.. وترجع أرضنا)
- أهداف دينية : تتمثل فى تحقيق الإستقرار الروحى والسعادة فى الدنيا والآخرة، والتقرب إلى الله

عن طريق الولى ممثلة فى أشكال مختلفة منها طقوس تمارس بصفة فردية كإشعال الشموع داخل الضريح وهو فعل مألوف منذ القدم، تدل على رمزيته غالباً على الرغبة فى إستلهام النور والهداية من الولى صاحب الضريح . (دستة شمع ياسيدى رمضان) (شكل 2)

(شكل 2)

إن إستمرار التعلق بالأولياء يختلط فيها العنصر الدينى بالعنصر الدنيوى وكذا الأسطورى، وجميع هذه العناصر تطغى عليها حالة من التقديس بالشكل الذى يأخذها الموردين على أنها من الدين وتستقر هذه الممارسات وفق طقوس وشعائر مصاحبة، يؤكد على عمق التأثير الذى مارسته ظاهرة الأولياء فى وعى المجتمع وذهنيته، أفراداً أو جماعات بالشكل الذى يكشف عن جوانب من عقلية جماعية وقعت تحت تأثير ما هو روحانى ووجدانى فى المخيال الشعبى والثقافة الشعبية .

فالتدين الشعبى شديد الإرتباط بسلوك الأشخاص وأسلوب حياتهم اليومية، ويرجع هذا السلوك المرتبط بهذا التدين إلى تصوراتهم الشعبية للدين، وما يصاحبه من معتقدات وممارسات يؤمن بها أعضاء المجتمع فى مصر ويمارسون حياتهم بتلك الروح المصرية فى التمسك بمعتقداتهم . لقد ترسخ فى ذهن الجماعة الشعبية الإعتقاد بأن الأولياء هم الوساطة بين الإنسان وخالقه .. لذا فلم يكن مستغرباً أن يرسل البعض من المجتمع المصرى حتى الآن رسائل إلى الأمام الشافعى ليقوم بحل المنازعات والمشاكل كما كان يفعل أثناء حياته كقاضى قضاه مصر وقتها ([4])

[4] - إسلام على عز العرب – الممارسات الشعبية كما يعكسها فيلم الطوق والأسورة " دراسة ميدانية وتحليلية " – رسالة ماجستير – المعهد العالى للفنون الشعبية – أكاديمية الفنون – 2006 – ص 39

قدم لنا شاهين هذا الشكل من الطقوس المنتشرة فى المجتمع على أنها ترتبط بالعقيدة الدينية بشكل من الأشكال، ولكن اللقطات تعرض علينا هذا الطقس على انه جزء من الدين إن لم يكن الدين كله عند بعض أهالى القرية، وهذا التوظيف الفولكلورى للدين لم يقدم شاهين لقطات أخرى ليعدل من خلالها الوضع وتقدم ممارسات دينية صحيحة، بل إكتفى بهذا الطقس كبديل عن الشعائر الدينية الصحيحة .

المعتقد حول السحر

لكل مجتمع معتقداته التى تتحكم بقدر ملحوظ فى سلوك أفراده ، حيث تنتشر ظاهرة السحر والشعوذة فى المجتمع المصرى بأساليب متنوعة بإختلاف المناطق ، ويقوم باللجوء إليها مختلف فئات المجتمع ،وقد يلجأ الناس إلى السحر لتغيير حالة معينة يعانيها الشخص خصوصاً النساء ، وذلك للتغلب على بعض المشكلات وقضايا الحياة اليومية .

كما يحتل السحر مكانة كبيرة فى المعتقدات الشعبية " والأمل النفسى فى ممارسة السحر يمثل عنصراً فعالاً فى تنظيم العمل فى المجتمعات التى تعتمد على أساليب تقنية متخلفة ، فى السيطرة على ظواهر الطبيعة ، وتعيش فى أوضاع إقتصادية رديئة ، مما يضطرها إلى الإعتماد على هذه الممارسات الروحية ، بجوانبها السحرية، والأسطورية ، والظروف البيئية، المتحكمة فى حياته المادية والعاطفية ([5])

فهناك البعض فى المجتمع الريفى مشبع بمجموعة من المعتقدات الغيبية التى يرونها فوق الطبيعية ولا عقلانية هذه المعتقدات تشمل على مايعرف بعالم الجن والإستحواذ والسحر والطلسمات ، وكذلك على ما يسمى بالعين الشريرة .

وهناك شكل آخر إلى إبعاد الضرر الحادث بفعل العين الحاسدة ، ومن أبرز الوسائل لطرد العين الشريرة " عروسة الحسد " هى عادة شعبية قديمة توارثها المصريون ، وهى عبارة عن ورقة يتم قصها على هيئة تخذ كرمز للحاسد ، ويمسك شخص بإبرة خياطة ويأخذ تخريم العروسة، عروس بوجه وذراعين وساقين . إن إستخدام العروسة بهذا الشكل يرتبط بالطقس السحرى هنا إلى إبعاد الضرر الحادث بفعل العين الحاسدة وعروسة الحسد هى العنصر الأساسى فى هذا الطقس .

نجد أن شاهين دائما يرصد لنا حال المجتمع المصرى فى فترات زمنية مختلفة التى تشهد أحداث أفلامه ومنها فيلم " الأرض " ولجوء بعض أفراد القرية للدجال المشعوذ لحل مشكلاتهم . (شكل 3)

وما قدمه شاهين فى هذا المشهد من فيلم " اليوم السادس " لأحداث مرت على المجتمع المصرى أثناء إنتشار وباء الكوليرا فى أربعينيات القرن العشرين، وما يحدث من أفعال أفراد المجتمع إلى اللجوء لمثل هذه المعتقدات المتوارثة عبر الأجيال . (شكل 4)

[5]- عادل يحيى " أثر المتغيرات الإجتماعية على الأعمال الدرامية فى السينما والتليفزيون " رسالة دكتوراة - المعهد العالى للسينما –1997

(شكل 3)

(شكل 4)

وتكشف لنا بعض الدراسات أن معتقد السحر من أقل الأنساق تأثراً بالتغيير وأقلها إستجابة لعمليات التحديث ، رغم التغيرات المادية التى تشهدها الثقافة، ما يدل على عمق هذه المعتقدات وتغلغلها فى نفوس أفراد المجتمع ، كما يرجع إستمرارها إلى التدعيم المستمر الذى يقابل هذه المعتقدات من خلال التنشئة الإجتماعية . من هنا أكد شاهين على أن المعتقدات حول السحر والشعوذة متجذرة فى نفوس أفراد المجتمع المصرى .

لعبة التحطيب وإرتباطها بعادة الزواج

إن الحديث عن شكل الإحتفالات فى المجتمع المصرى وبخاصة المرتبطة بعادة الزواج يرافقها دائما الأغانى والموسيقى الشعبية وكذلك اللعب والرقص ، فنحن بصدد الحديث عن لعبة التحطيب والتى شاهدناها فى العديد من أفلام يوسف شاهين .

يعتبر التحطيب أحد الظواهر الشعبية فى الصعيد التى ترمز فى مجملها لنفس القيمة وهى البطل الشعبى " إبن النيل " فى مواجهة التحدى وتحقيق الإنتصار ليس للذات بل للجماعة بأكملها صحيح أن التحطيب لعبة بالأساس لكنها إنعكاس لمفاهيم المجتمع ورؤيته للكون ، فكل جماعة من قرية أو مركز تأتى لتشجيع لاعبها وإعلان انتصاره باعتبارها الفئة التى تستحق هذا النصر إنه صراع أبطال ممثلين لجماعات وهنا الجوهر المشترك الذى يجعل لعبة التحطيب جزء جوهرى من المجتمع لايمكن فهمه بعيداً عن ظروف هذا المجتمع الحضارية التى تعيننا فى النهاية على فهم وتفسير عاداته وتقاليده وفنونه وآدابه .([6])

فالعبة التحطيب هى لعبة فردية وليست لعبة جماعية، بقصد إظهار المهارة والرشاقة وسرعة الخاطر وللقوة وللدفاع عن النفس، يلعبها المصريون فى مختلف القرى والمحافظات فى المناسبات الأفراح والموالد وغيرها .

فقد تناول شاهين التحطيب فى العديد من أفلامه، والتى أظهر فيها شكل من أشكال إحتفالية الزواج من خلال أفلامه التى تناولت العديد مختلف المجتمعات داخل الجمهورية سواء " الصعيد أوالريف أوالحضر " وعلى سبيل المثال : فيلم " إبن النيل " - " صراع فى الوادى " - " الناس والنيل " - " الأرض " - " إسكندرية كمان وكمان " شكل (5 – 6)

1- http://www.doniaalmasrah.info/ar/

مشهد من فيلم " إبن النيل " (شكل 5)

مشهد من فيلم " إسكندرية كمان وكمان "(شكل 6)

يمكن لنا فى ختام هذا البحث القول بأن الثقافة الشعبية قد إستمدت مقوماتها من الهوية المصرية ، ومن ناحية أخرى ما أوجده تفاعل الجماعة الشعبية وإنصهارها فى بوتقة واحدة ، ولكن على الرغم من ذلك تبقى لكل منطقة خصوصيتها التى تلونت بها والمرتبطة بالبعد الجغرافى المتميز ، وكذلك البعد التاريخى . وقد كشف البحث عن تجلى عناصر الثقافة الشعبية فى بعض أفلام يوسف شاهين .

وبهذا يكون قد عبر الخطاب البصرى ، سواء ما تعلق بالملابس أو الأكسسوارت أو أسلوب الحياة أو العادات والتقاليد والمعتقدات وهى فى مجملها عناصر تحيلنا على ثقافتنا الشعبية . وبالتالى يمكننا القول بأن هذا الخطاب البصرى قد تفاعل إيجابيا مع عناصر هويتنا المصرية . وبذلك تكون هذه الأفلام التى عرضنها قد تفاعلت إيجابيا مع هوية المجتمع ولم يشذ عن الملامح العامة التى ميزت هذه الأفلام الذى تناولت موضوعات ترتبط بحياة وواقع المجتمع المصرى .

نتائج البحث :

1- تعتبر السينما الروائية آلية من آليات الثقافة ، وتعد أفلام يوسف شاهين التى تحمل بعض عناصر الثقافة الشعبية أحد أدوات تشكيل وتنمية وإثراء الثقافة فى المجتمع المصرى من خلال نشر وترويج رسائل غير مباشرة من حيث تقديم الأفكار التى تحمل التأويل والمضامين المركبة.

2- شكلت الصورة السينمائية فى أفلام يوسف شاهين فى مجملها الأداة الغالبة فى تشكيل ووعى المتفرج، ويأتى ذلك فى تأكيد متوقع لأهمية الصورة السينمائية فى الإيصال والإقناع الذهنى للمشاهد وللجوانب الجمالية والدلالية التى تحملها وللأفكار والمضامين التى تختزل الكثير من المفردات المرتبطة بالثقافة الشعبية.

3- ساهمت جماليات أسلوب يوسف شاهين فى تقديم أفلامه فى نشر الوعى الجمالى فى المجتمع المصرى من خلال البعد الجمالى فى الرسالة الإتصالية، فقد تميز شاهين بتقديم صورة سينمائية تجذب عين المشاهد ويتوافر فيها قدر عالى من المتعة البصرية من خلال العناصر المرئية المقدمة وحرفية الإخراج وإختزال المشاهد وإختيار زوايا التصوير.

4- يتميز يوسف شاهين بأسلوبه الخاص فى كيفية التعامل مع الثقافة الشعبية فى أفلامه ، فالمؤشر الدلالى فى توظيفه لعناصرها يكون من خلال الجمهور وثقافته، وذلك لأن المعنى فى اللغة البصرية أو حتى لغة الحوار فى بعض أفلامه، لا يكمن فى عناصر الصورة المرئية فحسب، إنما فى المعنى الكامن وراء هذه العناصر والذى يعتمد فى تفسيره على خبرة وثقافة الجمهور.

التوصيات:

1- إن تراجع الدولة عن التكفل بالقطاع السينمائى ، يجعل بعض الأفلام فى السينما المصرية تسبح فى عكس تيار مبادىء وقيم المجتمع ، وعدم تمكنها من القيام بنفس الدور التى كانت تؤديه سابقاً فى أفلام هامة أثرت به المجتمع المصرى والعربى بموضوعاتها ، وبالتالى نسير فى الإتجاه المعاكس لما يقتضيه التكفل بهوية المجتمع سينمائياً.

2- إعادة تمويل الدولة لقطاع إنتاج الأفلام السينمائية لما له من دور مهم فى تفعيل العملية الإنتاجية ، فعلى سبيل المثال فيلم " الأرض " واحد من الأفلام التى أنتجتها الدولة والذى يعد واحداً من أهم الأفلام فى تاريخ السينما المصرية والعربية.

3- يجب على صانعو الأفلام نشر الثقافة الشعبية من خلال تقديم عناصرها فى أعمالهم السينمائية للحفاظ على الهوية المجتمعية ، ومراعاة المردود الإجتماعى الشامل وعدم الإكتفاء بالمردود الإقتصادى المباشر.

المصادر والمراجع

الكتب

1- مدكور ثابت - فرضياتى لإكتشاف السينما المصرية، دار شركة الحريرى للطباعة ، بيروت 2005

2- عادل يحيى – الواقع والدراما فى السينما والتليفزيون – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 2001

الأطروحات

1- إسلام على عز العرب – الممارسات الشعبية كما يعكسها فيلم الطوق والأسورة " دراسة ميدانية وتحليلية " رسالة ماجستير – المعهد العالى للفنون الشعبية – أكاديمية الفنون – 2006

2- عادل يحيى " أثر المتغيرات الإجتماعية على الأعمال الدرامية فى السينما والتليفزيون " رسالة دكتوراة - المعهد العالى للسينما –1997

المراجع الأجنبية

2-Shafik, Viola.Arab Cinema, History and Cultural Identity- Cairo: New York: American University in Cairo Press, 1998

المواقع الإلكترونية

1- http://www.doniaalmasrah.info/ar/

2- https://translate.google.com.eg/translate?hl=ar&sl=en&u=http://www.aucpress.com/p-4948-arab-cinema.aspx&prev=search